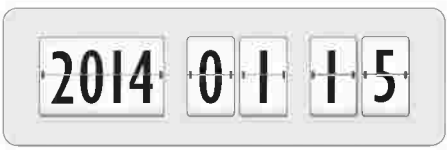

قالت هيلاري: كانت تشلسي في السادسة حين اصطحبناها في رحلة إلى إنجلترا، أبدت رغبة شديدة في لقاء الملكة إليزابيث والأميرة ديانا، غير أن ذلك لم يكن سهل الترتيب في تلك الأيام، فأخذناها بدلًا من ذلك إلى معرض يقدم شريطًا مصورًا لتاريخ ملوك بريطانيا العظمى وملكاتها جميعهم، تابعت تشلسي الشريط باهتمام نحو ساعة كاملة، ثم قالت: «يبدو أن كون المرء ملكة أو ملكًا أمر صعب». الآن أتساءل: من أين خطرت لها تلك الفكرة بالمطلق؟

إبان رئاسة بل، قمنا بزيارة لتصويب العلاقة مع الرئيس الروسي بوريس يلسن، وأقام الزوجان يلسن حفل عشاء على شرفنا، رافقتنا تشلسي إلى السهرة بعد العشاء، وفي صباح اليوم التالي، غادر موكبنا الطويل الكرملين، وعلى نحو ما ومع كل الدهشة، لم يلاحظ أحد أن تشلسي، ومربيتها، ووكيل الجهاز السري لم يكونوا معنا.

مع خروج السيارة الأخيرة من الزحام، انتبه الجهاز السري إلى ما كان قد حدث، أحد العناصر هرع إلى سيارة بيضاء قديمة قريبة وتحكم فيها، ليتك تعرفين! إما أن السائق لم يكن يعرف الإنجليزية أو أنه كان ضعيف السمع، إذ

ظل يسأل: ماذا؟ وماذا؟. تعيّن على العنصر تكرار القصة مرات قبل أن تعني شيئًا بالنسبة إلى الروسي، ثم أقحم الأمريكيين في السيارة، قفز هو إليها، وتجاوز الحواجز بسرعة إلى المطار، غير أن المشكلة لم تكن قد انتهت بعد؛ جهاز الأمن الروسي رفض السماح لهم بالدخول، صحيح أنهم تعرفوا إلى تشلسي غير أنهم لم يستطيعوا تصديق أننا كنا فعلًا قد تركناها، أنا أيضًا لم أستطع تصديق ذلك!

وفيما كانوا عاكفين على الخروج من حالة الاضطراب، انقضَّ أعضاء فريق تشلسي عليها وعلى حقائبهم وهرعوا كالمجانين إلى الطائرة، لم أكتشف أن ابنتي كانت مفقودة إلى أن رأيت الفريق متسلقًا سلم الطائرة، صرخت: «يا إلهي! كدنا نفقد تشلسي! هل تصدقين؟ كدنا نفقد تشلسي. أقسم على أنني لن أتركها تبتعد عني ثانية أبدًا!» وعانقتها، على امتداد الجزء الباقي من الرحلة.

كنا شديدي الولع بتشلسي إلى درجة أننا تحدثنا، حتى وأنا في التاسعة والأربعين من العمر، عن إنجاب طفل آخر؛ صرحت لأحد مراسلي التايم مثيرة دهشته، أننا كنا نفكر بإنجاب أخ أو أخت لتشلسي، فنظر إلي غير مصدق وتساءل عما إذا كنا نخطط لإنجاب الطفل على نحو طبيعي، شرحت أن من شأن الأمر أن يشكل مفاجأة سارة، غير أن من شأننا أن نبادر حتى إلى تبني طفل، شرط أن يتم ذلك بعد حملة عام 1996م لإعادة انتخاب الرئيس، وأنا أتابع المراسل المتفاجئ مبتعدًا، أطلقت ضحكة عالية، واستعرضت الطريق الطويلة التي قطعتها منذ سنواتي المبكرة حين كنت صعبة الإرضاء.

تبقى المراهقة مرحلة صعبة، إلا أن حياة أي مراهق أو مراهقة في البيت الأبيض مضاعفة الصعوبة، تعاطفت استثنائيًّا مع إليانور روزفلت التي عانت كثيرًا بسبب الأمومة؛ أولادها جميعهم آلوا إلى حياة مضطربة، وإليانور قالت

مـرة إنها كثيفة الانشـغال بضبط أولادها فلم يبـقَ لها الوقت اللازم للتعبير عن حبهـا لهـم. تعـيَّن علي أن أحذر مـن خطر التحول إلـى أم مثلها؛ لأننـي كنت أنا المسـؤولة عن التربية وتلقين الانضباط فيما كان بل على الدوام الطرف الدافئ والمحب لتشلسي، ساحرًا إياها بمناقشاته الموسعة، ومعارفه الغزيرة، وقصصه الممتعة.

في لحظـات كآبتـي، نادمـة أنا على أنه احتكـر المتعة كلها تـاركًا أمر الضبط والتربيـة لي. تعرفـين قصـة الأبطـال والحرامية؟ أو أسـطورة الشـرطي الخيِّر ونظيره الشـرير؟ ثمة بالمقابل أب عطوف وأم قاسـية أو العكس، لك أن تقدري أي الزوجين كلنتون كان الشـرطي الشـرير؟ صحيح أنني لم أجبر تشلسـي على الخـروج إلـى الجليد والثلـج للبحث عن غطاء عبـوَّة معجون الأسـنان، إلا أن لمَّ البوشـار المسـكوب على أرض البيت الأبيض كان مثالاً أقل قسوة لذلك النوع من التفكير، لم أكن راغبة في أن أبدو غولة بنظر ابنتي، ما جعلني شـديدة الارتياح إلـى كلام كبير مسـاعدي بل؛ بروس لندسـي الذي قـال لبعض أصدقائي إنني كنت أمًّا دافئة ورقيقة.

كانت تشلسـي مراهقة طبيعية تمامًا، ما أدى إلى جعل سـلوكها غير متناغم دائمًا مع مزاجي، كنا؛ تشلسـي وأنا، نتأهب للذهاب إلى ممارسـة رياضة المشي في أحـد متنزهـات البيـت الأبيض، نزلت تشلسـي درجات سـلم البيـت الأبيض مغطـاة عمـدًا بمعطف طويل، وعند المغـادرة طلبت رؤية ملابسـها، أزاحت ذيل المعطف واكتشفت، ويا للهول!، أنها كانت ترتدي ملابس غير محتشمة، للأسف كان وقت تغيير ملابسـها قد فات، وكان من شـأنها بوصفها مراهقة، أن ترفض ذلك- ربما- على أي حال.

لـن أنسـى مشـيتها المتباهيـة في منتصف الممشـى مـن دون معطفهـا وعيون وسـائل الإعـلام متركزة عليها؛ بعض المراسـلين صفقوا بصخـب لدى مرورها، ومـاذا عـن محاولة إبقائها بعيدة عـن أعين الجمهور؟! اكتفت تشلسـي بالتلويح

والابتسام من دون أي حرج، وبدت سعيدة وواثقة. أما أنا فلم أكن؛ رحت أتصور العناوين العريضة التي ستحدث انفجارًا: «هيلاري تسمح لتشلسي أن تمشي نصف عارية في المتنزه!». لحسن الطالع لم يحصل ذلك، وحين لذت ببل شاكية من سلوك ابنته، اكتفى بإطلاق ضحكة قائلًا: «كفى تزمتًا، يا موسوسة!».

لن أكرر ردي عليه.